الفصل الثامن والأربعون

وصف الموكب الثالث

وهو موكب رؤية هلال رمضان المبارك (أى موكب المحتسب)

لمدينة القاهرة العظيمة اثنا عشر موكبا للعيد، منها الموكب العظيم لليلة المحتسب ويسميه الصوفية والعارفين بالله. «عيد النسوان» إذ إنه فى تلك الليلة لا يمكن التحكم فى النساء، فهن يخرجن لمشاهدة هذا الموكب، وشرط عقد الزواج هو الخروج فى هذا الموكب فى تلك الليلة. وهذا ما يقضى به قانون مصر.

وقبل هذا الموكب بأسبوع تستأجر الحوانيت فى الأسواق السلطانية بخمسة أو عشرة قروش أو قرش واحد أو يمضين إلى منازل معارفهن.

وخلاصة القول: من الرجال من لا يحق لهم سؤال أزواجهن أين كن فى هذه الليلة، إنها ظاهرة عجيبة.

ولأنها الليلة الشريفة لشهر رمضان المبارك فإن جميع أهل القاهرة يبتهجون ويسعدون وتظل جميع حوانيت الأسواق السلطانية مفتوحة فى تلك الليلة حتى الصباح، وتزدان القاهرة بعدة آلاف من القناديل، وكل أحد يزين واجهة حانوته بِسِلَعِهِ، وينتظر كل أحد مع أحبابه وأصدقائه موكب المحتسب.

أصل الاحتفال بهذا الموكب:

وأصل الاحتفال بهذا الموكب هو أنه فى عهد ( )[1] وقع الشك فى معرفة غرة شهر رمضان المبارك، وعجز جميع العلماء والأعيان والبكوات وأعضاء الديوان عن معرفة ذلك اليوم. وفى آخر الأمر فى الليلة التاسعة والعشرين من شهر شعبان المعظم أرسل المحتسب بك إلى قاضى عسكر مصر يقول له: إنه ينبغى أن يكون لكم علم بيوم الشك.

وتلقى المحتسب مع موكبه خبرا أكيدا من قاضى العسكر أفندى، وبشر السلطان بذلك والآن ومنذ ذلك الزمان يمضى جميع الناس إلى باب الشريعة تعظيما واحتفاء

(١) بياض فى الأصل.

بحلول شهر رمضان المبارك لمعرفة غُرة الشهر الكريم. وهذا فى مصر قانون مرعى منذ عهد ( )[1] وهو الآن من الشعائر، إنه احتفال يعجز عنه الوصف.

والمحتسب بك، على الرغم من أنه مطلق الإرادة فى تلك الليلة وسائر الليالى الأخرى، إلا أنه لا يحق له قتل أحد فيها. وله الحق فى إصدار كافة الأحكام الأخرى، ويطبق القانون والعرف، وله الحق فى توقيع عقوبة الغرامة والسجن.

ليلة رؤية هلال شهر رمضان المبارك

وفى تلك الليلة مضى المحتسب أغا والصوباشى مع خمسمائة من رجالهما فى أبهة وجلال متحازين قارعين الطبول، ودخلوا من باب العزب، وصعدوا إلى الباشا بعد العصر فى ديوان الغورى وعند لقائهم به قبلوا الأرض تحت قدمه، فأصدر الباشا أوامره بأن تخلع على المحتسب خلعة فاخرة عبارة عن حزام من فرو السمور مخيط بخيوط الذهب والفضة، كما وضع الباشا عمامته السليمية بنفسه على رأس المحتسب، كما وضع على رأسه كذلك ريشتين سلطانيتين مزينتين بالجواهر، وقال له: بلغ سلامى إلى شيوخ الإسلام على المذاهب الأربعة والقاضى عسكر، وتعرف صحة الخبر عما إذا كانت غرة شهر رمضان غدا، وإذا تلقيت الخبر السار أخبرنا إياه.

وما أن قبل المحتسب الأرض حتى قال كتخدا الباشا للباشا: يا مولاى لقد أنعمت على عبدك المحتسب بخلعة سلطانية وفق القانون القديم، ولى الآن رجاء أبسطه إليك وهو أن تجعل على نفقات الموكب من بسط ومنح لفرق التوفنكجيان والسقائين والشطار وفرق الموسيقى العسكرية. وقد بسط هذا الرجاء إلى الباشا وهو يقبل الأرض تحت قدمه، فقبل الباشا، وأمره بأن يذهب لإعداد العدة للموكب، فقبل المحتسب الأرض ثانية وخرج مع الكتخدا، وتولى كتخدا البوابين رئاسة أغوات الباشا نيابة عن المحتسب وكتخدا الباشا، وخلع الباشا عليه خلعة فاخرة، فقبل الأرض تحت قدمه ومضى.

---

(١) بياض فى الأصل.

بعد ذلك دخل المحتسب مع قادة الجند من الأوجاقات السبعة المكلفين بالإشتراك فى الموكب ونالوا خلعا من الباشا الذى شدد فى التنبيه عليهم بأن يملكوا زمام جندهم فى تلك الليلة، فقال قادة الجند: سمعا وطاعة وقبلوا الأرض، وخرجوا.

ثم قدم بعد ذلك الصوباشى مع الدويدار (أى محافظ القلعة) وخلع على كل منهما خلعة فاخرة، ثم شدد الباشا كذلك عليهما فى التنبيه، ثم خرجا.

ثم وقف جميع الجند فى ميدان القصر على أهبة الاستعداد، وفى البداية مهد الصوباشى الطريق مع جلاديه، ثم مرت مواكب التتار[١] والدلاة والكوكليان[٢]، والجاشنكير[٣] والكلارجيان[٤] والموسيقى العسكرية والصرّاجين والمتفرقة وموكب واجب الرعايا وموكب رؤساء البوابين وجنائب الباشا التسع ذات السروج المرصعة بالجواهر، وشطار الباشا وفى يديهم البلطة الحادة، مع المحتسب أغا، وكتخدا البوابين متحاذين، وعزفت فرق الموسيقى العسكرية التسع الخاصة بالباشا ومروا من أمامه، ونزلوا من القلعة. ولم يكن هذا الموكب يضم أطواغا ولا أعلاما ولا علم رسول الله ﷺ وعلى هذا النحو نزلوا من القلعة، ولم يشترك فى هذا الموكب من جند الأوجاقات السبعة إلا مائتا جندى من كل أوجاق ولا يشترك أكثر من هذا العدد، لأنهم من طائفة الجند وينالون منحا بعد إنتهاء الموكب، وإذا جاء كثير من العسكر لا يصبح فى مقدور المحتسب أن يدفع لهم منحا. وقد اشترك فى هذا الموكب ألف وأربعمائة جندى من الأوجقات السبعة، وهم مدججين بالسلاح، وفى كامل زينتهم وقد تقدمهم جند الباشا، وخلف الصوباشى مائة من جاويشية الجند يحملون العمد، ومضى فى أثرهم مائتان من فرقة الكوكليان ثم مر موكب التوفنكجيان وبعدهم موكب الشراكسة ثم

---

(١) التتار: ناقلو البريد.

(٢) الكوكليان: فرقة من الجيش تعرف باسم المتطوعة.

(٣) الجاشنكير: فرقة عسكرية كانت تتولى مهمة ترتيب الموائد.

(٤) الكلارجيان: الفرقة المكلفة بحفظ الطعام والشراب فى مطبخ القصر العثمانى.

المتفرقة، ثم فرقة العزب ثم موكب ملازمى الانكشارية وعلى رؤوسهم القلانس المزركشة. ثم شطر الباشا وبجانبهم المحتسب أغا مشاة وفرسانا متحازين.

ووصل الموكب وقت صلاة العشاء قبالة جامع محمود باشا فى ميدان الروملى وتوقف هناك وظلت فرقة الموسيقى العسكرية صامتة، وأدى المحتسب بك وبقية الأعيان صلاة المغرب قضاء فى جامع المحمودية وكانت الليلة قد أظلمت ولنكمل بقية مواكب أهل الحرف التى تحت إدارة المحتسب بك.

***

obeikandl.com